

التحرير والتنوير

وهذا ينشأ عن الكذب والخداع والاستهزاء والظعن في المسلمين قال تعالى (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) .

الثاني : التربص والتربص : انتظار شيء وتقدم في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن) الآية .

ويتعدى فعله إلى المفعول بنفسه ويتعلق به ما زاد على المفعول بالباء . وحذف هنا مفعوله ومتعلقه ليشمل عدة الأمور التي ينتظرها المنافقون في شأن المؤمنين وهي كثيرة مرجعها إلى أذى المؤمنين والإضرار بهم فيتربصون هزيمة المسلمين في الغزوات ونحوها من الأحداث قال تعالى في بعضهم (ويتربص بكم الدوائر) ويتربصون انقسام المؤمنين فقد قالوا لفريق من الأنصار يندمونهم على من قتل من قومهم في بعض الغزوات (لو أطاعونا ما قتلوا) .

الثالث : الارتياب في الدين وهو الشك في الاعتماد على أهل الإسلام أو على الكافرين وينشأ عنه القعود عن الجهاد قال تعالى (فهم في ريبهم يترددون) ولذلك كانوا لا يؤمنون بالآجال وقالوا لإخوانهم (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) .

الرابع : الغرور بالأمانى وهي جمع أمنية وهي اسم التمني . والمراد بها ما كانوا يمتنون به أنفسهم من أنهم على الحق وأن انتصار المؤمنين عرض زائل وأن الحوادث تجري على رغبتهم وهواهم ومن ذلك قولهم (ليخرجن الأعز منها الأذل) وقولهم (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) ولذلك يحسبون أن العاقبة لهم (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) . وقد بينت الخصال التي تتولد على النفاق في تفسير سورة البقرة فطبق عليه هذه الأصول الأربعة وألحق فروع بعضها ببعض .

والمقصود من الغاية ب (حتى جاء أمر الله) التنديد عليهم بأنهم لم يراعوا عن غيهم مع طول مدة أعمارهم وتعاقب السنين عليهم وهم لم يتدبروا في العواقب كما قال تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) وإسناد التغيير الأمانى مجاز عقلي لأن الأمانى والطمع في حصولها سبب غرورهم وملاسه .

ومجيء أمر الله هو الموت أي حتى يتم على تلك الحالة السيئة ولم تفلحوا عنها بالإيمان الحق .

والغاية معترضة بين الجملتين المتعاطفتين ومن حق المؤمن أن يعتبر بما تضمنه قوله تعالى (وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله) الآية فلا يماطل التوبة ولا يقول : غدا غدا .

لغورورهم تحقيرا (الأمانى وغرتكم) جملة على عطف (الغرور باء وغركم) وجملة A E
وأمانهم بأنها من كيد الشيطان ليزدادوا حسرة حينئذ .
والغرور : يفتح الغين مبالغة في المتصف بالتغريب والمراد به الشيطان أي بإلقائه خواطر
النفاق في نفوسهم بتلوينه بلون الحق وإرضاء دين الكفر الذي يزعمون أنه رضى الله (وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم) .
ويجوز أن يراد جنس الغارين أي وغركم باء أئمة الكفر وقادة النفاق .
والتغريب : إظهار الضار في صورة النافع بتمويه وسفسطة .
والباء في قوله (باء) للسببية أو للآلة المجازية أي جعل الشيطان شأن الله سببا لغروركم
بأن خيل إليكم أن الحفاظ على الكفر مرضي الله تعالى وأن النفاق حافظكم به على دينكم
وحافظكم به نفوسكم وكرامة قومكم واطلعتكم به على أحوال عدوكم .
وهذا كله معلوم عندهم قد شاهدوا دلائله فمن أجل ذلك فرعوا لهم عليه قولهم (فالיום لا
يؤخذ منكم فدية) قطعاً لطمعهم أن يكونوا مع المؤمنين يومئذ كما كانوا معهم في الحياة .
(فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير]
[15]) يجوز أن يكون هذا الكلام من تنمة خطاب المؤمنين للمنافقين استمرار في التوبيخ
والتنديد . وهذا ما جرى عليه المفسرون فموقع فاء التفرع بين والعلم للمؤمنين بأن لا
تؤخذ فدية من المنافقين والذين كفروا حاصل مما يسمعون في ذلك اليوم من الأقضية الإلهية
بين الخلق بحيث صار معلوماً لأهل المحشر أو هو علم متقرر في نفوسهم مما علموه في الدنيا
من أخبار القرآن وكلام النبي A وذلك موجب عطف (ولا من الذين كفروا) تعبيراً عما علموه
بأسره وهو عطف معترض جرت به المناسبة